Register Login

JOURNAL OF ISLAM IN ASIA (E-ISSN: 2289-8077)

المفكر الإسلامي الصيني الإمام الشهيد يوسف تشنغ كه لي : حياته، وأفكاره
 Life and Thoughts of Martyred Chinese Islamic Thinker, Imam Yousuf Chen Ke Li

يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني (Yunus Abdullah)
دكتور محاضر بقسم اللغة العربية، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

DOI: https://doi.org/10.31436/jia.v11i1.421

ABSTRACT

الملخّص

عُني هذا البحث بحياة المفكر الإسلامي الصيني الإمام الشهيد يوسف تشنغ كه لي وأفكاره الإصلاحيّة لرفع شأن أمة الإسلام في الصين خاصة، وفي العالم كلّه عامّة. وكان إخلاصه الممحض لله تعالى، وحبّه العميق للأمة ألإسلاميّة، وإيثار الآخرة على الدنيا يمثّل أهم مظهر لأفكاره وحياته. وقد التزم الباحث الأمانة العلمية في نقل المعلومات من المصادر الصينية، وعرض أفكار وآراء الإمام الشهيد يوسف تشنغ كه لي.

الكلمات المفتاحية: المفكر الإسلامي، يوسف تشنغ كه لي، حياته، أفكاره، الصين.

****

Abstract

This research paper deals with the life of martyred Chinese Islamic thinker, Imam Yousuf Chen Ke Li, and his reformative ideas with a view to elevating the status of the Muslims in China in particular and in the whole world in general. His sincere devotion to Allah and deep love for the Muslim

Ummah, and his preference of the afterlife to the present world constitute major features of his thoughts and life. The researcher has committed to scholarly integrity in transferring information from Chinese sources and presenting the intellectual ideas and opinions of Chen Ke Li.

Key words: Islamic Thinker, Yousuf Chen Ke Li, His Life, His Thoughts, China.

PDF

PUBLISHED

2014-06-01

HOW TO CITE

(Yunus Abdullah)المفكر الإسلامي الصيني الإمام الشهيد يوسف تشنغ كه لي : حياته، وأفكاره. (2014). ي. ع. ا.
 Life and Thoughts of Martyred Chinese Islamic Thinker, Imam Yousuf Chen Ke Li. *Journal of Islam in Asia (E-ISSN: 2289-8077)</Span>, 11*(1), 36. https://doi.org/10.31436/jia.v11i1.421

More Citation Formats

ISSUE

Vol 11 No 1: June Issue (2014)

SECTION

Arabic Articles

LANGUAGE

English

العربية

Ethics Statement

Copyright Transfer Form

Journal Publishing Policy

MAKE A SUBMISSION

INFORMATION

For Readers

For Authors

For Librarians

CURRENT ISSUE

ATOM 1.0

RSS 2.0

RSS 1.0

المفكر الإسلامي الصيني الإمام الشهيد يوسف تشنغ كه لي (Chen Ke Li 陈克礼): حياته، وأفكاره

Life and Thoughts of Martyred Chinese Islamic Thinker, Imam Yousuf Chen Ke Li

Kehidupan dan Pemikiran Seorang Cina Islam Yang Syahid, Imam Yousuf Chen Ke Li

يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني*

الملخّص

عُني هذا البحث بحياة المفكر الإسلامي الصيني الإمام الشهيد يوسف تشنغ كه لي وأفكاره الإصلاحيّة لرفع شأن أمة الإسلام في الصين خاصة، وفي العالم كلّه عامّة. وكان إخلاصه الممحض لله تعالى، وحبّه العميق للأمة ألإسلاميّة، وإيثار الآخرة على الدنيا يمثّل أهم مظهر لأفكاره وحياته. وقد التزم الباحث الأمانة العلمية في نقل المعلومات من المصادر الصينية، وعرض أفكار وآراء الإمام الشهيد يوسف تشنغ كه لي.

الكلمات المفتاحية: المفكر الإسلامي، يوسف تشنغ كه لي، حياته، أفكاره، الصين.

Abstract

This research paper deals with the life of martyred Chinese Islamic thinker, Imam Yousuf Chen Ke Li, and his reformative ideas with a view to elevating the status of the Muslims in China in particular and in the whole world in general. His sincere devotion to Allah and deep love for the Muslim Ummah, and his preference of the afterlife to the present world constitute major features of his thoughts and life. The researcher has committed to scholarly integrity in transferring information from Chinese sources and presenting the intellectual ideas and opinions of Chen Ke Li.

* دكتور محاضر بقسم اللغة العربية، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

Key words: Islamic Thinker, Yousuf Chen Ke Li, His Life, His Thoughts, China.

Abstrak

Kajian ini berurusan dengan kehidupan seorang pemikir Cina Islam yang syahid, Imam Yousuf Chen Ke Li, dan idea-idea reformatifnya yang bertujuan meningkatkan taraf orang Islam khususnya di Cina dan secara amnya di seluruh dunia. Keihklasan ibadatnya kepada Allah, cinta mendalam bagi umat Islam, dan mengutamakan akhirat daripada dunia ini membentukkan ciri-ciri utama pemikiran dan hidupnya. Penyelidik kajian ini telah berkomited dengan integriti ilmiah dalam memindahkan maklumat daripada sumber-sumber Cina dan menyampaikan idea-idea intelektual dan pendapat Chen Ke Li.

Kata Kunci: Pemikir Islam, Yousuf Chen Ke Li, Kehidupannya, Pemikirannya, Cina.

المقدمة

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى البشرية، حمّل الإنسان أمانة الخلافة، وأرسل من حين إلى حين الأنبياء والرسل عليهم السّلام، وكان الهدف من إرسال هؤلاء توجيه البشرية إلى الاستسلام للمنهج الرباني، وتأسيس حياة مبنيّة على الاستقامة بما يحفظ البشرية، ويقودها إلى نيل السّعادة في الدنيا والآخرة. وكان سيدنا محمد ﷺ آخر أنبياء الله ورسله إلى البشرية جمعاء لتحقيق هذا الهدف النيل والمقصد العظيم. وبعد أن خُتِمَت الرسالةُ والنبوةُ بالبعثة المحمدية، ترك الرسول ﷺ مهمة الدفاع عن هذه الرسالة، وتوصيلها إلى البشرية كافة على عاتق العلماء قائلًا: «إن العلماء ورثة الأنبياء»[1]. ولكي لا تتفرق جهود هؤلاء العلماء في تحمّل هذه الرسالة، وفهمها، ونشرها بين الناس، حثهم وجميع المسلمين المقرين بدين الله الحنيف على التمسك بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ قائلًا: «تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما لن

[1] سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، **سنن أبي داود** (بيروت: دار الفكر، د.ت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد) كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ج2، ص341، رقم الحديث: 3641.

تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه»،[2] وأن يرجعوا إليهما كلما وقع بينهم خلاف ونزاع، كما دعا الله عز وجل إلى ذلك في كتابه العزيز: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾[النساء: 59]. وبالفعل انتشر الإسلام شرقًا وغربًا، ولا يزال ينشر هذا النور على العالم بالرغم من التحديات، والعراقيل التي تحاول إطفاءه، والنيل منه والكيد لأهله كما قال الله تعالى:﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [الصف: 8]. وعندما نقرأ تاريخ أمة الإسلام، وازدهارها بين الأمم، واندثارها، نجد ذلك راجعا إلى مدى تمسك الأمة بكتاب الله، وتأسيها بسنة نبينا محمد ﷺ وعدمه. وإن كان التقدم والتأخر والقوة والضعف من سنة الحياة، فلا يعني ذلك الاستسلام للواقع دون التحرك نحو تحقيق الكمال. ولعل الرسول ﷺ أراد من الأمة المحمدية أن تسعى إلى تحقيق الكمال للمجتمع البشري بعد أن كمّل الله دينه ببعثة النبي محمد ﷺ حيث قال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة:3]، ولعل الرسول ﷺ أراد ألا تصاب أمة الإسلام باليأس والانهزامية أمام تيار الكفر والإلحاد والنفاق عندما قال: «***إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ*** لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ***عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ*** مَنْ ***يُجَدِّدُ*** لَهَا دِينَهَا»[3]. فالتاريخ الإسلامي يؤكد لنا سلسلة من المجددين في الإسلام أمثال الخليفة عمر بن عبد العزيز والإمام الشافعي والإمام أحمد بن الحنبل والإمام الغزالي والإمام أحمد الفاروق السرهندي المعروف

---

[2] الموطأ للإمام مالك، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ص564.

[3] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود) كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، (259/11)، رقم(4282)، صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود رقم(4291).

بمجدد الألف الثاني[4] رضي الله عنهم أجمعين. ومن لطف الله بعباده وحكمته في العناية بالمسلمين أن يبعث علماء ربانيين كلما أصاب الأمة بلاء أو سوء لحماية دينهم، ولتبصرة عقولهم، وإيقاظ هممهم، ولذلك نجد هؤلاء العلماء الربانيين ممن جدّد الله بهم دين الإسلام ظاهرين في مختلف البلدان وسط العرب والعجم قديما وحديثا يربطهم جميعا رباطُ الإيمان والتقوى. وفي هذه السلسلة المباركة من أهل الله الذين جدّد الله بهم دينهم القويم في منطقة شرق آسيا، وبالتحديد في الصين الشعبية إمامنا المفكر الإسلامي الشهيد يوسف تشنغ كه لي (Chen Ke Li陈克礼) رحمه الله تعالى الذي جمع بين حبر العلماء ودماء الشهداء في سبيل الدين والحق في أرض الصين في القرن الماضي[5]. وإن جيل الإسلام وخاصة مسلمي الصين الذين ولدوا بعد الثورة الثقافية (1966-1979م) المشهورة والمشئومة لنا المسلمين يتحتم عليهم، وعلى أمة الإسلام في العالم أن نعرف حياة هذا العالم الشهيد وجهوده في تبصرة المسلمين، وتنوير عقولهم، وتقريبهم من الله سبحانه وتعالى. وليس للعظمة مقياس خاص، فقد يكون العظيم عالما، أو فاتحا، أومخترعا، أو مربيا روحيا، أو زعيما سياسيا؛ ولكن أجدر العظماء بالخلود هم الذين يبنون الأمم، وينشئون الأجيال، ويغيرون مجرى التاريخ،[6] والإمام الشهيد يوسف تشنغ كه لي (Chen Ke Li陈克礼) رحمه الله تعالى يعتبر من أحد هؤلاء الخالدين في تاريخ الصين خاصة وفي العالم الإسلامي عامة.

---

[4] أبو الحسن علي الحسيني الندوي، **الإمام السرهندي حياته وأعماله**، دار القلم، الكويت، ط1، 1983م، ص3.

[5] الدكتور يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني، **يوسف شنغ كه لي عالم صيني مسلم جمع بين حبر العلماء ودماء الشهداء**، مجلة "**الرابطة**"، مكة المكرمة، السعودية: رابطة العالم الإسلامي، العدد 556، يناير 2013م، ص65.

[6] مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية بإشراف فتحي يكن، **الموسوعة الحركية**: مؤسسة الرسالة، 1979م، مج 1، ص55.

إن العلاَّمة الصيني المسلم الشهيد يوسف شنغ كه لي (Chen Ke Li陈克礼) رحمه الله تعالى هو أيضا أحد عمالقة القادة المسلمين، ويستحق وصف القيادي في الأمة المسلمة في الصين في القرن العشرين وبكل جدارة. إن التعتيم الإعلامي على مسلمي الصين، وعدم التواصل الفعال بين أبناء الأمة الإسلامية، كل ذلك أسهم في أن تظل شخصيته، وجهده، وأفكاره، وأعماله، ودوره في نشر الدعوة الإسلامية في الصين، والدِّفاع عن الحق مجهولة أمام العالم الإسلامي. والأمانة العلمية والوازع الديني يحتمان علينا التعريف بإمامنا الزاهد، وقدوتنا الخالدة، والعلاّمة الصيني، والمفكر اللامع، والشهيد يوسف شنغ كه لي، ليعرف العالم الإسلامي خاصة، والعالم بأجمعه عموما مكانة وقيمة عالمنا الجليل هذا.

يُعَدُّ الشهيد يوسف شنغ كه لي أحد مرشدي الأمة المسلمة الصينية إلى صراط الله المستقيم في منتصف القرن العشرين في أرض الصين، ويعد أيضا من أكثر الشخصيات تأثيرًا في قلوب المسلمين في الصين بعد قيام دولة الصين بقيادة الحزب الشيوعي الصيني عام 1949م. وهو الإمام الزاهد والعالم المسلم الصيني الوحيد الذي جمع بين حبر العلماء ودماء الشهداء في سبيل الدين والحق في أرض الصين. وكاتب هذا البحث يكفيه شرفا أن الله سخّر قلمه للتعريف بهذا الإمام والمفكر الزاهد على الأمة عسى أن يكون ما يكتبه دافعا للقراء إلى محبة هذا العالم، والدعاء له بالمغفرة ورضوان الله، والتأمل في أفكاره، والعمل بدعوتها نحو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى.

حياته

ولد الإمام يوسف شنغ كه لي (Chen Ke Li陈克礼)-رحمه الله- في اليوم 28 يونيو عام 1923م بقرية تشانغ قه (Chang Ge) ببلدة ينغ تشياو(Ying Qiao) من محافظة شيانغ تشن (Xiang Chen) لمقاطعة خه نان (He Nan) بالصين. وقد تلقى التربيّة الإسلاميّة الجيّدة من والده المخلص باسم صالح تشنغ ون شان

(Chen Wenshan) منذ طفولته، وبدأ يذهب إلى المسجد مع والده ليصلي، وذلك في السابعة من عمره. وكان والده قد أرسله إلى المسجد بقريته لتعلم اللغة العربية والدين الإسلامي وهو في التاسعة من عمره لدى الإمام دو ون مين (Du Wenming)، وما كان الإمام "دو" يعلِّم الطلاب اللغة العربية والإسلام فقط؛ بل كان يعلمهم الآداب والأخلاق وكيفية تكوين شخصية المسلم الصالح للمجتمع. ومنذ ذلك الوقت بدأ يوسف تشنغ كه لي يطيع توجيهات أستاذه، ويتأدب، ويؤدي واجباته، فصار مريدا محبوبا لدى شيخه. وكانت ظروف الدِّراسة في المسجد صعبة وشاقّة، فما كان للطلاب مصحف مطبوع؛ بل كانوا يقرؤون القرآن ويتعلمونه معتمدين على ما يكتبون من مقاطع بأيديهم بقلم الرش (قلم الصين القديم). وفي الليل كانوا يقرؤون ويكتبون مستعينين بإضاءة مصابيح الكيروسين أو الزيوت النباتية أو النفط، وما كانت للطلاب مكاتب للدِّراسة فاتخذوا الكراسي العالية مكاتب للقراءة والكتابة، وهكذا استمر يوسف تشنغ كه لي في دراسته مع الإمام "دو" في المسجد لمدّة ست سنوات. ثم زكاه الإمام "دو" بعد أن عرف ذكاء يوسف الخارق ونبوغه الفكري إلى الإمام ما فو تو (Ma Futu) المعروف بتبحّره في العلوم الإسلامية في مسجد آخر بنفس البلدة عام 1938م، ليواصل دراسته الإسلامية، وفي هذا المسجد تعلم يوسف تشنغ كه لي اللغة العربية والعلوم الإسلاميّة، وبعد ثلاث سنوات من دراسته في هذا المسجد انتقل يوسف تشنغ كه لي إلى مسجد خارج بلدته ليتعلم من الإمام شه ون قوي (Xie Wengui)، حتى عام 1942م. ومن تتبع دراسته الدينيّة يجد أنه تلقى العلوم الإسلاميّة على أيدي تسعة أئمة من علماء الإسلام. وهذه الدِّراسة الطويلة مكنته من فهم اللغة العربيّة كتابةً وقراءةً في العلوم الإسلاميّة، ثم واصل دراسته للعلوم الإسلامية على أيدي العلماء الصينيين الأجلاء متنقلا من مسجد إلى آخر. وسافر مع بدء غزو اليابانيين إلى الصين إلى محافظة بينغ ليانغ (Ping Liang) من مقاطعة قانسوا لمتابعة دراسته الدينية حتى تخصص في اللغة العربية بمدرسة المعلمين بشرق قانسوا (Gan

Su). وفي عام 1947م التحق بمعهد العلوم الإسلاميّة ببكين؛ لمواصلة الدِّراسة في العلوم الإسلاميّة، وبعد تخرجه عام 1954م، عُـــيِّن إماما في مسجد ينغ تشياو (Ying Qiao) في قريته، وتم تعيينه كمدرس مساعد للغة العربية وآدابها في جامعة بكين عام 1955م، بترشيح من أستاذه محمد مكين[7] رحمه الله. وغادر الجامعة عام 1955م؛ لكي يتفرغ لترجمة الكتب الدينيّة، ثم عـــيِّن مدرِّسا في معهد العلوم الإسلاميّة عام 1957م، ولكن الظروف السياسيّة وضغوط المدّ الشيوعي جعلته يستقيل من وظيفته، ويعود إلى قريته في السنة نفسها. وهذا المدّ الشيوعي المناهض للإسلام والمسلمين طارده حتى أُعْدِمَ ظلما عام 1970م بعد تكرار حبسه وتعذيبه في السجون.[8]

تجديد الفكر الإسلامي من خلال التأليف والترجمة

إن حالة المسلمين في الصين أيام عصر الإمام يوسف كانت منحطة، وبالرغم من وجود بعض العلماء المخلصين، وترجمة بعض الكتب المتعلقة بالفقه الحنفي؛ لكونه مذهبا سائدا بين مسلمي الصين، وبعض الكتب في الأحاديث النبوية الشريفة؛ إلا أن جهود العلماء كانت كثيرة تدور حول القضايا الفقهية المتعلقة بالعبادات، وكأنّ التخلف الفكري الذي أصاب الأمة الإسلاميّة في ذلك العصر قد أثّر على مسلمي الصين أيضا إذ وجد الإمام يوسف شخصية مسلمي الصين ضعيفة أمام الفكر الصيني المركّب من فلسفات من الكنفوشيوسية والطاوية والبوذية. وهذه الثقافة الصينية المتأثرة بهذه الفلسفات الوضعية والتقاليد الموروثة من الأجداد كانت مقدسة ومحترمة

---

[7] محمد مكين (马坚Ma Jian1906-1978م) وهو من أبرز علماء الإسلام في الصين في القرن الميلادي الماضي، حيث درس في الأزهر الشريف، وتفقَّه في أمور الدين الإسلامي، وحفظ القرآن، وأتقن علوم الحديث، وأجاد اللغة العربية، وهو الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلى الصينية ترجمة قويَّة متقنة كلَّ الاتقان، تُعدُّ من أفضل ترجمات القرآن الكريم التي ترجم بها إلى اللغات الأخرى.

[8] عبيد ما جي تانغ، **سيرة تشنغ كه لي**، ص32-36.

بين الصينيين على جميع المستويات. كلّ هذه الأمور كانت متحكمة ومتغلغلة في طبيعة تفكير الصينيين وحياتهم العملية. والمسلمون لكونهم صينيين يعيشون وسط كل هذه الثقافات والتقاليد لم يقدروا أن يحافظوا على هويتهم الإسلامية دون انصهار في هذه الثقافة الصينية الوضعية، وهذا الوضع السّيء والهزيل من المسلمين جعل الإمام يوسف يفكر بشدة وحماس في إعادة المسلمين إلى الاستقامة، وتجديد تفكيرهم الديني، وتنقيته من الثقافات المادية والوثنية الموروثة حماية من ذوبان المسلمين في التيارات المنحرفة المعادية للإسلام. وكانت أكبر خطوة اتخذها الإمام يوسف لتحقيق هذا الهدف هو ترجمة الكتب الإسلاميّة المختارة في تجديد الفكر الإسلامي، وإيقاظ هممهم إلى اللغة الصينية بالإضافة إلى التأليف بأسلوب يتناسب مع طبيعة ثقافة العصر وحضارته في القضايا الإسلامية عقيدة وشريعة وأخلاقا باللغة الصينية.

و من أهم ما ترجمه الإمام يوسف من كتب إسلامية كالآتي:

1) «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-للشيخ منصور علي ناصف» 3 أجزاء

2) «سؤال وجواب عن دين الإسلام » (محمد منصور، طبع في السعودية)

3) «الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية» (حسين الجسر، طبعه مصر، سنة 1932م)

4) « الإسلام ظهوره وانتشاره في العالم » (حامد عبد القادر، مكتبة نهضة مصر، 1956م)

5) « العلاقات بين العرب والصين » (بدر الدين و.ل.حيّ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،1950م)

6) « تاريخ الحركات الاجتماعية في الاسلام » (بندلي الجوزي، دار الروائع، بيروت،1959م)

7) «منهج تاريخ الأدب العربي» (طه حسين وغيره، مصر)

8) «روح الإسلام» (سيد أمير علي)

9) «مقدمة ابن خلدون » (ابن خلدون)

10) « شاهنامه"كتاب الملوك" أو"ملحمة الملوك" » (الفردوسي أبو القاسم منصور)

11) « حي بن يقظان » (ابن طفيل الأندلسي)

12) «تاريخ الحضارة العربية » (فاسيلي بارتولد 1869م-1930م)

13) «دراسات في العلوم الإسلامية» (بروكرمان الألماني ومجموعة من الباحثين)

14) «تجديد الفكر الديني في الإسلام» (محمد إقبال، ترجمه عباس العقاد إلى العربية)

15) «تتمة البيان في تاريخ الأفغان» (السيد جمال الدين الأفغاني، مصر، 1901م)

16) «الرحالة المسلمون في القرون الوسطى» (زكي محمد حسن 1908م-1957م)

17) «رحلة ابن بطوطة» (أبو ***زيد حسن*** بن يزيد السيرافي، مصر)

18) «مجموعة من الأدب الإسلامي »

من أهم مؤلفات الإمام يوسف:

1) «معرفة الإسلام عن طريق معرفة محمد صلى الله عليه وسلم »

2) «مختارات من المقالات والترجمات الإسلامية المنشورة في الجرائد الصينية الإسلامية»

عناوين الكتب التي تم وضع خطتها وفهارسها؛ ولكن لم يتم تأليفها

1) الكتب الثلاثة للفلسفة الثورية: (أ- الصينية ، ب- الإسلامية ، ج- العالمية).

2) المذكرات.

3) علم الفلسلة والمنطق.

4) دراسة في أفكار ماو تسي دونغ (Mao Ze Dong 1893-1976م) [9] ونظامها.

و42 كتابا ضاعت بعد مصادرتها أيام الثورة الثقافية، و29 كتابا لم ينشر. [10]

ويتضح فكره الإسلامي الناضج، وإخلاصه في توجيه المسلمين، وتربيتهم عندما نقرأ ما ذكره الإمام يوسف في مقدمة كتاب «**التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ للشيخ منصور علي ناصف**» عند ترجمته، وكان الدافع لترجمة هذا الكتاب المشاكل التي لاحظها بين المسلمين في الصين بصفة عامة، والمشاكل التي عانى منها هو شخصيًا أثناء دراسته في مدرسة المعلمين بشرق قانسوا، ويلخص تلك المشاكل كالآتي:

المشكلة الأولى: ضعف مستوى الأئمة والخطباء الديني والأخلاقي، وأفقهم العلمي، وعجزهم عن إقناع المسلمين في دعوتهم، وإرشادهم إلى الحق.

المشكلة الثانية: ضعف مستوى الطلاب الذين يتتلمذون على أيدي هؤلاء الأئمة والخطباء، وضعف فهمهم للإسلام وحقائقه.

المشكلة الثالثة: اختلاف المسلمين وانقسامهم إلى طوائف وفرق مع ادعاء كل واحد أن ما هو عليه هو الحق والصواب، وأن ما عليه الآخر هو الخطأ والضلال، دون البحث فيمن معه الحق.

ويؤكد الكاتب صاحب كتاب «**سيرة تشنغ كه لي**» عبيد ما جي تانغ (Ma Ji Tang) رفيق الإمام يوسف في منجم الفحم شنشي تونغتشوان- فرقة الإصلاح

---

[9] رئيس جمهورية الصين الشعبية، الزعيم الشيوعي الصيني سابقا ابتداء من 1949م حتى 1976م.

[10] مجلة المسلم الصيني الخاص بذكرى 40 سنة لاستشهاد الإمام يوسف شنغ كه لي (Chen Ke Li)-رحمه الله، هيئة التحرير لمجلة المسلم الصيني، 2010م، ص80.

الإجباري عبر العمل[11] – تأسف الإمام يوسف على وضع المسلمين في الصين، ووجود تلك المشاكل التي أسلفنا ذكرها، وما كان دافعًا له للتأليف والترجمة. "وكان الإمام يوسف مهمومًا بظروف المسلمين منذ أن كان طالبًا في مدرسة المعلمين بشرق قانسوا، والإمام يوسف كان يُرْجِعُ تلك الظروف السيئة إلى سوء نظام التعليم الإسلامي في المساجد؛ ولكنه ابتهج عندما قرأ "تفسير المنار"، وخاصة ما ذكره الشيخ محمد عبده من حقائق الدين الإسلامي على نحو يختلف اختلافًا واضحًا عما كان ينظر إليها أكثر معاصريه من علماء الإسلام، وخاصة إرجاعه تخلف المسلمين إلى عدم تعلم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بين المسلمين، والاعتماد عليهما في حل جميع المشاكل، فبعد أن اقتنع الإمام يوسف بما ذكره الشيخ محمد عبده ذهب إلى أستاذه الشيخ يعقوب وانغ جينغ تشاي (Wang Jing Zhai王静斋 1879 – 1949م) [12] وعرض عليه إعجابه لما ذكره الشيخ محمد عبده من أفكار نيرّة، فكان الشيخ يعقوب وانغ كأنه يوافق على ما ذكره الإمام يوسف فقال: "ومن أجل هذا أي إعادة المسلمين إلى فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والعمل بهما أنا أقوم بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية ليلًا ونهارًا بالرغم من كوني مريضًا، وصحتي الآن كما تراها غير جيدة، ولو أطال الله عمري أنوي ترجمة مجموعة كبيرة من كتب الحديث النبوي الشريف وسيرة النبي ﷺ؛ ولكن الشيخ لم يقدر أن يحقق للأمة الإسلامية الصينية أمنيته النبيلة حيث وافته المنية دون إتمام رغبته، وعندئذ أحسّ الإمام يوسف بانتقال مسئولية تحقيق أمنية شيخه على عاتقه، فنوى أن يترجم كثيرا

[11] فرقة الإصلاح الإجباري عبر العمل عبارة عن مكان يحبس فيه من يخالف نظام الدولة فكريا ونظريا خشية انتشار أفكاره وتأثير نشاطاته ويكلفونه بالعمل في منجم الفحم بشنشي تونغتشوان.

[12] الإمام الشيخ يعقوب وانغ جينغ تشاي (Wang Jing Zhai王静斋 1879 – 1949م) العالم الكبير، المترجم البارز كرس معظم حياته لترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره، وقد طبعت ترجمته على الأكليشيهات الرصاصية في شانغهـــاي عام 1946م، وذلك يعتبر أول عمل من نوعه باللغة الصينية في الصـــين.

من الكتب في الأحاديث النبوية الشريفة إلى اللغة الصينية هادفا إلى إحياء هذه الأمة في ضوء الأحاديث النبوية الشريفة.

فاختار كتاب «**التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول–صلى الله عليه وسلم**» للشيخ منصور علي ناصف للترجمة، ويقول عبيد ما جي تانغ: "وقد وجد الإمام يوسف كتاب «**التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول–صلى الله عليه وسلم**» للشيخ منصور علي ناصف في مكتبة "فؤاد" ببكين التي تبرع بها جلالة ملك مصر فاروق الأول للمسلمين الصينيين عام 1936م عندما زار مصر الشيخ عبد الرحمن ما سونتينغ الذي كان مديرا لمعهد العلوم الإسلامية ببكين وقتئذ موفدا من الهيئات الإسلامية في الصين،[13] وعندما قرأ الإمام يوسف كتاب «التاج» فرح فرحا شديدا، ونوى أن يترجمه إلى اللغة الصينية. وقد بدأ يترجم الجزء الأول مع الشرح الوافي له سنة 1951م، وأتم ترجمته وشرحه للجزء الأول سنة 1953م عندما كان مدرسًا للغة العربية في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بكين، وفي سنة 1954م استطاع أن ينشر ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب المترجم بمساعدة بعض المسلمين. ولم يمض وقت طويل حتى انتهت هذه النسخ المطبوعة، وكان الإقبال على هذا الكتاب، وإعادة طبعه، وإكمال ترجمة بقية أجزائه شديدا من قبل المسلمين في الصين، فاستطاع الإمام يوسف أن يكمّل ترجمة الجزء الثاني والثالث من الكتاب سنة 1956م؛ ولكن للأسف الشديد ما استطاع الإمام يوسف أن ينشر ترجمة «التاج»

---

[13] الدكتور الأستاذ مجاهد توفيق الجندي" الرحلة العلمية الصينية إلى الرواق الصين بالأزهر الشريف في ثلاثينيات القرن الماضي"، المؤتمر الدولي الرابع للعلاقات العربية الصينية "التاريخ والحضارة"، الإسماعية، مصر، 12-13 مارس 2012م، ط1، ص460.

بكامل أجزائه لامتناع المطابع المختلفة بسبب عدم مقدرة الإمام يوسف لدفع تكاليف النشر دفعة واحدة، وقد خاب أمل الإمام في نشر بقية كتب «التاج».[14]

والجدير بالذكر أنه تم طباعة هذه الترجمة كاملة مع شرحها للجزء الأول بعد استشهاد الإمام يوسف من المؤسسات الإسلامية داخل الصين وخارجها عدة مرات، وتقديرا لهذا الكتاب المترجم فقد اشترى أحد الصينيين المسلمين من أمريكا مائة نسخة لتوزيعه بين الجالية الإسلامية الصينية في أمريكا، وشخص آخر بعد أن قرأ هذا الكتاب الثمين بحث عن مترجم الكتاب، وعندما علم باستشهاده، ذهب قاطعا مئات الأميال إلى قبر الشهيد، وانكب عليه باكيا، وفي الحقيقة هي الصورة الوحيدة لزائر هذا القبر باكيا عند قبر الشهيد.[15]

ومن أهم الدوافع للإمام يوسف لترجمة هذا الكتاب ما يتميز به هذا الكتاب من أحاديث تتعلق بجميع مبادئ الإسلام من عقيدة وشريعة وأخلاق، وهي كالآتي:

1) القسم الأول: في الإيمان والعلم والعبادات.
2) القسم الثاني: في المعاملات والأحكام والعادات.
3) القسم الثالث: في الفضائل والتفسير والجهاد.
4) القسم الرابع : في الأخلاق والسمعيات.

ويعدّ هذا الكتاب فريدا من نوعه لشموله على جميع أبواب الفقه، و لم يسبق في تاريخ الصين ترجمة كتاب شامل من كتب السنة النبوية الشريفة، يجمع أبواب الفقه كلّها قبل كتابه هذا. وبعد نشر هذا الكتاب، بدأ المسلمون إحياء سنة النبي ﷺ تأثرا بهذا الكتاب تاركين البدعة والخرافات التقليدية التي توارثوها خلف عن سلف؛ حيث تأثرت ثقافة المسلمين الدينية بالمعتقدات والثقافات الصينية المحلية، وخاصة تلك

---

[14] عبيد ما جي تانغ (Ma Ji Tang马纪堂)، **سيرة تشنغ كه لي** 陈克礼传، الشركة المحدودة للكتب تيان ما بهونغ كونغ، 2003م، ط1، ص251.

[15] **المرجع السابق**، ص255.

الثقافة المتأصلة في المجتمع الصيني بشكل عام لدى جميع طبقات الشعب النابعة من الكنفوشيوسية والطاوية والبوذية منذ مئات السنين.

ومن اللطف الإلهي تعلم الإمام يوسف تشنغ كه لي اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتعمقه فيها على أيدي العلماء المسلمين في الصين، بالرغم من عدم سفره إلى البلاد الإسلامية والعربية لمواصلة الدراسة كبقية العلماء الذين تخرجوا من الجامعات الإسلامية والعربية، وبالأخص جامعة الأزهر الشريف. وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّ الإمام الشهيد يوسف تشنغ كه لي قد ترجم كتاب "**تاريخ الحركات الاجتماعية في الإسلام**" للمستشرق الروسي المشهور بندلي صليبا الجوزي (1871-1942). والشهيد يوسف كعادته ذكر ملاحظاته وتحفظاته وإيجابيات هذا الكتاب وسلبياته في المقدمة حتى يكون القارئ بصيرا بما فيه أثناء قراءة هذا الكتاب.

وأهم ملاحظاته على هذا الكتاب تتلخص في الآتي:

أولا: من محاسن الكتاب:

1. التعريف الجيد بالحالة الاجتماعية في المجتمع العربي قبل ظهور الإسلام.
2. التعريف بمصدر الإسلام وخلفيات الإسلام التاريخية ومراحل تطوره والطبائع الأخلاقية للرسول صلى الله عليه وسلم.
3. توضيح الأسباب لانتقال الإسلام من الضعف إلى القوة، ومن القوة إلى الضعف من خلال متابعة المراحل التاريخية وحركة النهضة الإسلامية.
4. توضيح جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال متابعة جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام.

ثانيا: من مساوئه:

1. زعم المؤلف أنّ نبوة محمد ﷺ ليس إلا ما أنتجته الظروف الاجتماعية التي عاش فيها الرسول صلى الله عليه وسلم دون اختصاصه بالوحي الإلهي.

2. قوله إن محمدا ﷺ ما كان إلا رجلا سياسيا، ودوره كان في حل المشاكل السياسية والاقتصادية فقط.

3. اعتباره أن النبي ﷺ مصلح، وإن لم يكن هو إنسان كامل.

4. إنكاره للجنة والنار، واعتبارهما من الخرافات والتخيلات، وحصر فكرة الجنة والنار بعصر محمد ﷺ.

وقد يتساءل القارئ المسلم إن كان الكتاب من تأليف مستشرق غير مسلم لا يؤمن بالنبوة ولا الرسالة الإلهية، فما الداعي لترجمة هذا الكتاب؟ وقد أجاب صاحب كتاب «**سيرة تشنغ كه لي** » عبيد ما جي تانغ (Ma Ji Tang) هدف ترجمة هذا الكتاب مما يدل على حكمة الشهيد وبُعْدِ نظره وحسن تصرفه وتكيفه في عرض الإسلام في البيئة الشيوعية التي تنكر الدين وكل ما له صلة بعالم الغيب حيث قال:

1. سهولة نشر هذا الكتاب في الصين لكون هذا الكتاب من تأليف المستشرق الروسي المشهور بندلي صليبا الجوزي من جامعة باكو الدولية من الاتحاد السوفياتي سابقاً، وكانت سياسة الصين شبيهة بسياسة السوفيات السّابقة.

2. كون الكتاب الإسلامي مؤلفا بيد غير مسلم دافعا وجاذبا القراء في الصين إلى القراءة بدون تعصب.

3. مسايرة الشهيد يوسف للمنهج الجدلي (الديالكتيكي) الذي اتبعه مؤلف الكتاب في عرض تاريخ الإسلام –وهو المنهج الذي يتبعه معظم من يتبع الفكر الشيوعي– بالرغم من إمكانية الشهيد من دحض آراء المؤلف الشيوعي وأفكاره الخاطئة حول الإسلام، لكنه ترك استدراك هذا التناقض والتعارض الموجود في الكتاب لفطنة القارئ.[16]

[16] عبيد ما جي تانغ (Ma Ji Tang)، **سيرة تشنغ كه لي**، ص91-94.

أهم أفكار الإمام من خلال مؤلفاته

1.دعوته إلى معرفة الإسلام عن طريق معرفة محمد صلى الله عليه وسلم

ومن أهم مؤلفاته كتابه المشهور «**معرفة الإسلام عن طريق معرفة محمد–صلى الله عليه وسلم–**»، وقد نشر هذا الكتاب عام 1950م في بكين، وتم ترجمته إلى العديد من اللغات الأجنبية، مثل: العربية والملايوية والأوردية. [17] وقد صار الكتاب معلمًا من معالم الطريق إلى الدين الإسلامي الصحيح بين المسلمين في الصين، وجعل المسلمين في الصين يفهمون الإسلام فهما صحيحا من خلال قراءة محتوياته. والجدير بالذكر أن هذا الكتاب تم تأليفه في شهر أكتوبر عام 1950م. وكان إمامنا في السابعة والعشرين من عمره، والكتاب يحتوي على مائتي ألف كلمة وأكثر. وفي هذا الكتاب ذكر الإمام عظمة الرسول ﷺ، وإنجازاته الكبرى، كما بيّن تمييز الباطل من الحق، وكيفية معرفة جوهر الإسلام وأحكامه، وفي الكتاب ذكر المؤلف قضايا المسلمين المعاصرة، وتصوره الكامل لحلها، والتغلب عليها في ضوء روح القرآن والسنة النبوية الشريفة. وهو كتاب متميز في تحليل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. والكتاب لم يؤلف لفئة معينة من الناس، بل يخاطب أفراد الأمة بكاملها، واستخدم فيه الإمام أسلوبا سهلا، ممتعا، مع مادة علمية غزيرة، وربط علوم الإسلام بعلوم الطبيعة. إن عرض الإسلام بشموليته جعل للكتاب مكانة خالدة في قلوب القارئين له على جميع المستويات بين المسلمين. ومما تجدر الإشارة إليه أن الكاتب قد خصص فصلا كاملا لبيان قضية المرأة تحت موضوع "الكفاح من أجل منزلة المرأة وحقوقها"؛ حيث قال: "إن منزلة المرأة في المجتمع البشري رائعة في الأصل، وهي نصف المجتمع؛ ومن المبادىء الإسلامية يتضح أن الإسلام أنزل المرأة منزلة مكرمة، وأعطاها شخصية

---

[17] تشنغ كه لي (陈克礼Chen Ke Li)، **معرفة الإسلام عن طريق معرفة محمد**–صلى الله عليه وسلم(الصين: د.ن، د.م، ط3، أكتوبر 1980م)، ص2.

مستقلة لا يجوز الاستهانة بها أو إغفالها، ولها حقوقها، وعليها واجباتها، وهي كالرجل فى الإنسانية سواء بسواء"[18]. ومن جوهر الكتاب موضوع الوسطية في الإسلام، والتيسير في عرض الإسلام، ودعوة الناس إليه، وإظهار مقاصد الشريعة في تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن رأي الإمام أن الاهتمام بهذه الموضوعات الثلاث تحل كثيرا من المشاكل التي تواجه المسلمين في فهم حقائق الإسلام والعمل بها ودعوة الناس إليها.

إن حزنه الشديد على ضعف المسلمين وتفرقهم داخل الصين وخارجها كان من أهم دوافعه لتأليف هذا الكتاب. وحبه ورغبته في توحيد المسلمين كان واضحا في هذا الكتاب. إن ترجمة الإمام للكتب الإسلامية كانت بسبب ما رأى من ضعف في حالة الإسلام والمسلمين في الصين بعد تخرجه في معهد المعلمين شرق قاسوا؛ بحيث ما كان للمسلمين إلا كتب ضئيلة مترجمة قديمة وجامدة ومحدودة الفهم، وما كان لديهم أي مؤلَّف إسلامي جديد يتوجه إلى الحياة الواقعية الحديثة، وكان أفق أئمة المساجد ضيقا وهم بعيدون عن روح العصر الحديث، ولا يتقنون اللغة الصينية الفصحى—اللغة الأم–، ولا يقرؤون في الثقافة العامة، وفي المقابل لم يتقنوا اللغة العربية، و لم يتعمقوا في العلوم الدينية؛ بل معارفهم الدينية سطحية جدا، وعندما كانوا يشرحون لجمهور الأمة المسلمة القرآن وأصول الدين ما كانوا يصلون إلى أهدافه الأصيلة؛ بل جعلوا فهم الإسلام والعمل به من شرحهم تعسيرا لا تيسيرا، وكان اعتناق معظم المسلمين للإسلام في الصين معتمدا على التقليد والتعليم الشفهي بالمترل، وبالتالي لم يتطور فهم المسلمين للإسلام في الصين على الرغم من دخوله إلى الصين منذ أكثر من ثلاث عشرة قرن. فأصبح جمهور الأمة المسلمة في الصين في حالة متعطشة لقراءة ما يجدد لهم إيمانهم وثقافتهم الدينية من كتب علمية تربط عقيدة الإسلام بواقع الحياة المعاصرة،

[18] المرجع السابق، ص101.

ومن هنا بدأ الإمام يفكر في تأليف كتاب لسدِّ هذه الثغرة العاجلة، وإشباع رغبة القراء المسلمين في الصين من أجل نشر الإسلام في أرض الصين التي كان عدد سكانها قد بلغ ستتمائة مليون والنصف نسمة في ذاك الوقت.[19]

وبدأ الإمام في إعداد هذا الكتاب في شهر سبتمبر 1949م وانتهى إعداده في شهر أكتوبر 1950م في مدة لم تزد على 13شهرا. ونشر طبعته الأولى في شهر يناير 1951م في بكين. وما إن نشر هذا الكتاب حتى نفدت طبعته الأولى خلال ثلاثة أشهر، وقد تلقى الشهيد رسائل كثيرة من كل حدب وصوب تطلب منه إعادة طبع الكتاب ثانية، فظهرت الطبعة الثانية في شهر فبراير 1952م في بكين أيضا، وما كان الإمام يتوقع هذا الإقبال الشديد من القراء. وكتب الإمام في مقدمة الطبعة الأولى قائلا: "إن أمامنا قضايا ومشاكل كثيرة؛ لكن لا تحل بالعجلة والحزن والرأي والانتظار، فإذا حُلَّتْ واحدة منها ستنقص واحدة رويدا رويدا"[20]. ونادى الإمام في هذا الكتاب الأئمة قائلا:"امسكوا الصحيح واتركوا الباطل والخطأ، ولا تكونوا جامدين ومتعصبين، خذوا المرونة والتكييف في طريق الدعوة، وادمجوا الماضي في الإسلام بالواقع الموضوعي، وتعلموا العلوم الحديثة والثقافة، لأن الناس لا يفهمون حقائق الإسلام من شرحكم ويقتنعون به؛ إلا باستيعابكم العلوم الحديثة والثقافة المعاصرة، وما كان الناس ليفهموا قدرة الله في الخلق وعظمته؛ إلا إذا فهموا قوانين الطبيعة وتطور المجتمع البشري، والعلوم التي تشكف أسرار الكون". وقال أيضا: "إن تطوير فهم الدين يجب أن يتزامن ويتلاءم مع تقدم العصر، حتى يقود إلى السعادة في الدارين حتما"، ودعا إلى ضرورة إحياء سنة الرسول عليه السلام في قلوب الناس؛ بقوله: "لنجعل الإسلام يسود المجتمع حتى يكون مجتمعا إسلاميا، ونعمم الإسلام بين

---

[19] عبيد ما جي تانغ (Ma Ji Tang)، **سيرة تشنغ كه لي**، ص199.

[20] تشنغ كه لي (陈克礼Chen Ke Li)، **معرفة الإسلام عن طريق معرفة محمد**–صلى الله عليه وسلم، ص9-10.

الجمهور حتى يكون الجمهور فاهمين للإسلام، وأن يصير الإسلام منارا لكل الناس في الدنيا". [21] وإن تعميم الإسلام في المجتمع يعني نشر الإسلام إلى المجتمع كله.

وقد حزن الإمام على ضعف المسلمين وتفرقهم داخل الصين وخارجها حزنًا شديدًا، وحبه ورغبته في توحيد المسلمين كان واضحًا في جميع كتاباته. ومن نصائحه دعوته إلى الاتحاد والتعاون على البر والتقوى، حيث قال في مقدمة الكتاب في الطبعة الأولى: "إخواني المسلمين، لا تحسدوا بعضكم بعضا، ولا تتفرقوا بالمسائل الفقهية الفرعية، ولا تتعصبوا فيها؛ بل علينا التعاون فيما بيننا بالحب والاحترام على أساس القرآن والسنة النبوية الشريفة، وعلى كل واحد منا تعلم القرآن الكريم، وفهمه، وتطبيقه، والاقتداء بسنة النبي ﷺ، ليكون مسلما بمعنى الكلمة". وقد دعا إلى تعلم القرآن الكريم، والعمل على خدمة دين الله بالإخلاص والتقوى مؤكدا بقوله: "إن القضايا التي أمامنا مقدسة، والعصر الذي نعيش فيه عظيم، والرسالة التي نحملها على عاتقنا شاقّة، وطاقتنا وقوتنا ضعيفة كضعف ضوء الشمعة في الليل المظلم، كأن نداءنا جرس الناقة في الصحراء الواسعة لا يسمعه أحد".[22] وباختصار فإنّ الإمام كان يهدف من خلال كتاباته إلى تطوير حالة المسلمين إلى الأمام ببثّ روح القرآن في قلوب المسلمين، ومحبة النبي ﷺ، واتخاذه أسوة وقدوة في حياتنا اليومية؛ حتى يكون الإسلام مهيمنا على جميع الحياة.

والكتاب يتكّون من سبعة أقسام، والقسم الأول منه يتناول سيرة رسول الله ﷺ ومنجزاته العظيمة في سبيل الدعوة إلى الله خلال 23 سنة. والقسم الثاني يدور حول القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والقسم الثالث يقوم ببيان عقيدة الإسلام وعباداته، والقسم الرابع يتحدث عن السياسة والتربية، والقسم الخامس يبين الاقتصاد

---

[21] المرجع السابق، ص11.

[22] المرجع السابق، ص11.

والأخلاق، والقسم السادس يتحدث عن محورين، الأول: الأفكار الإرشادية لتجديد فهم دين الإسلام، والثاني: علاقة الإسلام بالعلوم والثقافة. وهذا هو لب الكتاب وجوهره، وهو يحتوي على طائفة كبيرة من القضايا العلمية والمعرفية. والقسم السابع يتحدث عن فضل الله عز جل على نبيه عليه الصلاة والسلام، وثنائه عليه، وعتابه الإرشادي، كما يتحدث عن تقدير العلماء والعظماء من المسلمين وغيرهم للإسلام وثنائهم عليه وعلى نبيه عليه الصلاة والسلام.

ومن تأليفاته القيمة كتاب بعنوان "**ثلاثة أقسام من الفلسفة الاجتماعية**"، وقد خصص المؤلف القسم الأول للفلاسفة الصينيين وأفكارهم، والقسم الثاني لفلاسفة الإسلام، والقسم الثالث لفلسفات العالم. ومن أهم النتائج التي توصل إليها الكاتب بعد دراسة الفكر الإسلامي والفكر الصيني والفكر العالمي، أن كل ما كان حقا وخيرا في الفكر البشري سواء كان في الصين أو في غيره من بلدان العالم فهو موجود بشكل أجمل وأحسن في الإسلام، وكل ما في الفكر البشري غير الإسلامي من خطأ وضلال فالإسلام بريء منه، ثم برر المؤلف وجود النقصان والخطأ في الفكر البشري لكونه ثمرة لجهود العقل الإنساني المحدود غير المعصوم من الخطأ، وللأسف الشديد فقد ضاع هذا الكتاب مع كثير من الكتب التي ألفها الإمام بعد مصادرتها أيام الثورة الثقافية.[23]

2. دعوته إلى تبسيط عقيدة الإسلام

ولكثرة اهتمامه بعقيدة الإسلام لما لها من تأثير في تربية المسلم، وتحقيق كونه خليفة الله على وجه الأرض، اختار الإمام كتابا مهما للشيخ حسين الجسر بعنوان «**الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية**» طبعت بالمطبعة العامرة المليحية 1328هـ لترجمته إلى اللغة الصينية، واستطاع أن يترجم هذا الكتاب في

[23] عبيد ما جي تانغ (Ma Ji Tang)، **سيرة تشنغ كه لي**، ص195-197.

وقت قصير لا يزيد عن ثلاثة أشهر، وقام بنشره عام 1951م. وقد ذكر الإمام في مقدمته للكتاب المترجم: "إن العقيدة الصحيحة هي جوهر الإسلام، وروح الأمة المسلمة، وعلى العلماء المسلمين في الصين أن يتحملوا رسالة دراسة العقيدة الإسلامية، وتوصيلها بنقائها وصفائها إلى الأمة الإسلامية الصينية بالكتابة فيها وتدريسها؛ لأن الإسلام في الصين متخلف في كل شيء، ويصف تلك الحالة السيئة الإمام يوسف قائلا: "إن مستوى الأئمة الثقافي في المساجد منخفض بصفة عامة، ولايفهمون المعلومات الأساسية في العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، وما كانوا يشرحون الدين إلا بطريقة عمياء. وما كان للإسلام في الصين مفكّرون وعاملون جمعوا بين علوم السلف والخلف، واستوعبوا التراث والمعاصرة، وما كانت لدينا دراسة عميقة في العقيدة والفلسفة، وإن كان لدينا بعض الكتب العقائدية القديمة مما تحصى بالأصابع، والتي لا تكفي لمواجهة التحديات العصرية المختلفة. وقد أكد الإمام "أن علم العقيدة لهو محور العلوم الإسلامية، وهو روح الأمة المسلمة. إذا أردنا أن تكون العلوم الإسلامية شامخة في المحافل الأكاديمية، وأن نحيي فهمنا للإسلام، وأن يهتدي كثير من الناس إلى دين الإسلام، فلا بد من وجود كتاب جديد في العقيدة الإسلامية يعرض القضايا العقدية على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مقارنة بالعلوم والفلسفات المعاصرة، وهذه حاجتنا الملحة في عصرنا الحاضر"[24].

وفي طريق إثبات عقيدة الإسلام تكلم الإمام بالتعمق عن نشأة المعتقدات البشرية، ولجوء الإنسان إلى قوى طبيعية وقوى روحية، وعبادتها من أجل حمايته من الشر وجلبا للخير والنفع، وأثبت كون الإنسان كائنا متدينا محتاجا إلى إيمان بما هو أقوى منه سواء كان هذا الإيمان صحيحا أو باطلا. ثم أثبت عظمة عقيدة الإسلام

[24] الشيخ حسين الجسر، **الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية**، ترجمه الشهيد الإمام يوسف تشنغ كه لي إلى اللغة الصينية، دون الناشر ومكان النشر، 1980م، ص1-8.

لكونها قائمة على الإيمان بالله الواحد الخالق للكون والمستحق للعبادة، وأكد قبل بيان عقيدة الإسلام على مكانة العقل الذي ميّز الله به الإنسان عن سائر المخلوقات، وجعل على سلامته التكليف، ومسؤولية تحمل الثواب والعقاب على ما يفعله من إعماله. والإمام كان واسع الاطلاع، وملما بتاريخ الأديان؛ السماوية منها والوضعية، أشار إلى أن الاختلاف الجغرافي والتاريخي والاقتصادي والثقافي كل ذلك كان مؤثرًا في نشأة وتطور كثير من الديانات، وخاصة الديانات الوضعية، ومن هنا نجد عبادة الأشياء حتى عبادة الأشخاص، وعبادة الإله الواحد والآلهة الكثيرة، ثم أكد على ثبات عقيدة الإسلام الصحيحة القائمة على وحدانية الخالق وعبوديته وحاجة الخلق جميعا إليه، الداعية إلى الإيمان بالله بالعقل السليم والفطرة السليمة. وتفاءل الإمامُ بزعزعة الديانات الخاطئة وتراجعها، واختفائها عندما يعم نور الإسلام وعقيدته.

ومن استنباطاته الملفتة للنظر والإعجاب قوله: "إن وجود شيء متأخر فهو يعتبر متقدما. لقد جاء الإسلام (الرسالة المحمدية) متأخرا فهو دين متقدم طبعا، فإن تقدم الإسلام راجع إلى كونه دينا سماويا، وهو دين يقوم على أساس العقلانية والعلوم، فهو دين يهتم بواقع الحياة والمصالح العامة، هذا الدين يعارض الطاعة العمياء، ويدعو إلى المحافظة على العقل وسلامة الفكر ويقظة الضمير وسلامة القلب، كما يدعو إلى الإيمان الصحيح، والعمل الصالح، ورُقِيِّ الإنسان، ورخاء المجتمع. ويُرجِع الإمام سبب نشأة الخلافات العقدية والفرق الإسلامية في الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم راجعا إلى أمور سياسية ودوافع شخصية حيث قال:" ما كان في عصر النبي عليه الصلاة والسلام نظرية في علم العقيدة، وما كان صراع الفصائل العنيف ابتداء من الخلفاء الراشدين حتى الدولة الأموية، إلا بقضايا سياسية لا عقائدية، وهو نضال سياسي مصبوغ بلون الدين، حتى وصل إلى الدولة العباسية، فصار العصر عصرا مزدهرا في العلوم والمعارف المختلفة، فكثرت الكتب والمؤلفات القيمة في

مختلف المجالات الفكرية"[25]. والإمام يوسف كان منفتحا فكريا، وكان يحب الاستفادة من الثقافات الأجنبية؛ ولذلك كان إعجابه بالشيخ حسين الجسر، ومن ثم ترجمة كتابه هذا في العقيدة، إذ كان الشيخ حسين يدمِج ما استفاده من دراسة العلوم الحديثة والفلسفة الحديثة بالفكر الإسلامي عند مناقشة وعرض القضايا العقدية والفكرية.

3. الإمام يوسف وتأملاته في تفاسير القرآن

كان الإمام يوسف شغوفا بتلاوة القرآن، وتأمل آياته، وقراءة تفاسيره، وأكد هيمنة القرآن على عقله وقلبه عندما ذكر في رسالة أرسلها إلى صديقه قائلا:" كلما ركز فكري في القرآن الكريم، شعرت بحلاوته في القلب، ولا يعرف تلك الحلاوة إلا من ذاقها"[26]. وما كان الإمام يدعو إلى اكتفاء بقراءة تفسير معين أو الاعتماد على قول إمام معين؛ لأن كل تفسير ورأي لأي إمام لا يخلو من تأثره بالفترة الزمنية التي عاش فيها بكل ما لها من خصائص فكرية وسياسية واجتماعية وثقافية، ويؤكد ذلك إمامنا يوسف قائلا: "ظهر المفسرون وهم يختلفون في مستوياتهم الفكرية واتجاهاتهم وميولهم وانتماءاتهم العلمية مما أدى إلى ظهور التفاوت والخلافات في تفاسيرهم. فعلينا أن نقوم بدراسة القرآن الكريم بالنظر الموضوعي والعلمي، وإلا فسنتأثر بآراء خاصة، ونتعصب لها".[27] وقال في بيان حقائق القرآن العصرية:"من رحمة الله أنه ميز الإنسان بالعقل وقوة الإدراك، بما يمكنه من دراسة حقائق القرآن وبيان دلالاته، وكان المفسرون في العصور القديمة مقيدين بعصورهم وبيئاتهم ومستواهم الفكري، وكان

---

[25] الشيخ حسين الجسر، **الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية**، ترجمه الشهيد الإمام يوسف تشنغ كه لي، ص1-8.

[26] عبيد ما جي تانغ (Ma Ji Tang)، **سيرة تشنغ كه لي**، ص174.

[27] لو داو مينغ، تشنغ كه لي كشعلة في الأكاديمية الإسلامية الصينية، نور الإسلام نت، 12/20م2012م، http://www.norislam.com/?viewnews-15070

معظمهم يفسرون القرآن مركزين على تفسير الآيات القرآنية لغويا وفقهيا مع إهمالهم بيان أسرار معاني الآيات القرآنية، واعلموا أنهم بشر، والبشر لا يخلو من الخطأ والتقصير، والقرآن يعالج مشاكل جميع العصور لكونه حيا في آياته ودلالاته، شريطة أن يفهمها الإنسان بالعقل الصافي والقلب الخاشع والتأمل الدائم؛ لأن أسرار معاني القرآن لا تنتهى في عصر من العصور، بل متجددة مع تجدد الزمان وتطور العلوم".[28]

عناية الله بالإمام، وتسخير قلمه للارتقاء بالمسلمين في الصين

عندما نقرأ سيرة الإمام يوسف، وما قام به من تأليف، وترجمة من الكتب العلمية المتنوعة والمقالات الكثيرة، ونقارن بالعمر الذي امتد به حتى لقى الله سبحانه وتعالى، لا يمكن أن نقول إلا أن هذا الإمام كان ممن سخّر الله علمه وقلمه لإعلاء كلمة الله، وتجديد إيمان أمة الإسلام، إذ نرى حياته منذ ولادته إلى وقت إعدامه من قبل رجال الدولة الشيوعية الحاكمة المتطرفين لم تتعّد 47 سنة، وتأليفه للكتب الإسلامية، وترجمتها كانت وهو في سن 26 من عمره، وفي السنوات الأخيرة من عمره تكرر اعتقاله وحبسه للعمل الإجباري في المركز الإصلاحي التابع للحكم الشيوعي، وفي اعتقاله الأخير قضى 130 يوما في السجن حتى أعدم في 5 يوليو 1970م، والجدير بالذكر فقدان 42 كتابا من كتبه بعد مصادرتها أيام الثورة الثقافية. وبالفعل ما كان للإمام همّ سوى دينه الذي آمن به وقومه الذي ينتمي إليهم وكأن عينه لم تر إلا الكتب، ويديه لم تمسك إلا القلم. ولا غرابة في ذلك إذ كان الإمام يعيش زاهدا مع ولده وبنته بعد أن تركته زوجته بحجة عدم تكيفها معه على حياة التقشف بعد مضي 13 سنة من الزواج.[29] وبيته ما كان إلا كوخا صغيرا لا

---

[28] لو داو مينغ، تشنغ كه لي كشعلة في الأكاديمية الإسلامية الصينية، نور الإسلام نت، 20/12م2012م، http://www.norislam.com/?viewnews-15070

[29] عبيد ما جي تانغ، **سيرة تشنغ كه لي**، ص362.

يسع إلا لأسرته الصغيرة وكتبه، وكثيرا ما كان يبتّل جدار البيت وداخله لكثرة هطول الأمطار، وقِدم بنية البيت، وكان معظم وقته جالسا على ساقيه في الأرض يطالع الكتب ويترجم ما كان مفيدا للأمة، ويؤلف خلاصة أفكاره وتأملاته، والإمام ما كانت له رغبة شديدة في الاستمتاع بالحياة ولا في الاسترزاق مما يكتبه. وإن كان الفقر والأذى والتعذيب ملاصقا بالإمام فلم يبال به كثيرا، وكل الذي كان يؤلمه مصادرة ما كتبه وترجمه وجمعه من كتب أمام عينيه من بيته من قبل الحرس الأحمر مرة بعد مرة أيام الثورة الثقافية. وسيستغرب الزائر إلى بيته؛ بل يبكي بمجرد رؤية بيته المتواضع وآلات الكتابة والكرسي الذي كان يستخدمه للتأليف والترجمة، والمصابيح الزيتية التي كان يستخدمها عند الكتابة فضلا عن بنطلون الإمام الملوّث بدمه بطول الجلوس مما سبّب له جروحا، وخروج الدم بسببها. وهكذا تحمل الإمام جميع المشقات والآلام والضربات في مواصلة عمله لخدمة دين الله، وكان الإمام يستمر في الكتابة وعندما لا يقدر على الجلوس من ألمه، كان يستعين بالسرير والجلوس على ساقيه واضعا الحذاء تحت ركبته. ولما رأى هذا المنظر المؤلم ابنه وبنته، طلبا من الوالد التوقف عن الكتابة باكين؛ ولكن الإمام قال لهما :"إني سأستمر في الكتابة لخدمة دين الله بلا انقطاع مادام ربي منح لي الحياة"، وقال ابنه:"يا أبي الآن نريد أن نحيا ونعيش" فقال الوالد:"الحياة هي الكفاح من أجل تحقيق التمنيات"، فقال ابنه:"أخبرني زوج خالتي أن طموحاتك خيالية ولن تتحقق أبدا"، فقال الإمام:"إن التخيل في الضراء هو غذاء روحي" فقال ابنه:"لماذا تزيد الألم فوق الألم؟" فقال الإمام:"الأنبياء والرسل كلهم عانوا المشقات والآلام أثناء الدعوة، ولا يمكنك أن تفهم معاني المشقات وآلامها".فقال ابنه:"نريدك أن تتوقف عن عملية الكتابة بهذه الطريقة حتى تشفى من الجرح"، ولما رأى ابنه سكوت الوالد بكى مع أخته فجعلا الإمام

يبكي أيضا فقال لهما: "لا تبكيا، فإني أوافق على طلبكما وسأعيد الكتابة بعد ما يتم الشفاء من الجرح". [30]

ولم يبالغ أحد أقربائه عندما وصف حالته المادية قائلا: "إن دخل اللص بيت الإمام ربما ترك ما عنده للإمام تأسفا على حالته السيئة"[31]. وتحكي ابنته باكية كانت تمر بنا أيام وما كان لدينا شيء نأكله أو نشربه؛ ولكن عناية الله لم تتخل عن الإمام إذ سخّر الله أحد الصالحين من مسلمي الصين ممن كانت له صلة بهذا الإمام بعد إعجابه بقراءة ما يكتبه وهو الشيخ ما جي جونغ (Ma Zhizhong马志仲) وكان هذا الشيخ يقيم في مدينة تبعد عن قرية الإمام أكثر من 1200كيلو مترا، ومن لطف الله استطاع هذا الشيخ أن يرسل إلى بيت الإمام شهريا ما يسد تكاليف الحياة، ولم يتوقف هذا الكريم من هذا الجود والعطاء له ولابنته وولده طوال حياته، وهذا الشيخ نفسه تم اعتقاله وحبسه في السجن 7 سنوات لمجرد مساعدة هذا الإمام، والغريب أن الشيخ ما جي جونغ ما التقى بالإمام يوسف بالرغم من التعرف عليه ومساعدته لما يقرب من 20 سنة. والجدير بالذكر أن من الحظ العظيم للمسلمين في الصين في القرن الماضي ترجمة كتاب «التاج» كتاب الأحاديث النبوية الشريفة بكامل محتوياته ونشره. وكان الكتاب قبل نشره كبقية الكتب الدينية قد تعرض لخطر المصادرة من قبل الحرس الأحمر أيام الثورة الثقافية، ومن اللطف الإلهي بالمسلمين في الصين أن الكتاب نجا من المصادرة عبر محافظة هذا الشيخ الجليل عليه عبر محاولات شاقة، يكاد الشيخ وأفراد أسرته أن يسجن بسبب المحافظة على هذا الكتاب أيام "لا وجود لفكرة إلا الرئيس ما تسي تونغ". وسئل هذا الشيخ بعد خروجه من السجن؛ ما هي أهم

---

[30] عبيد ما جي تانغ، **سيرة تشنغ كه لي** ، ص167.

[31] **المرجع السابق**، ص160.

مساهمته في خدمة الدين في حياته؟ وأجاب قائلا: "الحمد لله حفظنا كتاب «التاج» من المصادرة أيام الثورة الثقافية".[32]

عبقرية الإمام وشجاعته في دعوته إلى التوازن بين الأفكار المتعارضة احتراما للرأي والرأي الآخر

إن الإمام يوسف كان عالما واسع الصدر لفكره الإبداعي، ولقبول فكر الآخر كلما كان ذلك مقبولا لا يتعارض مع مبادئ الإسلام وسلامة بناء حضارة الإنسان. وعندما ننظر أفكاره من هذه الزاوية يمكن أن نقول بحق أنه ما كان مفكرا للمسلمين فقط؛ بل للأمة الصينية قاطبة، وإنجازاته العلمية لم تكن قاصرة على عصره فقط؛ بل تجاوزت عصره، وسوف تكون ملهمة لمن يأتي بعده من علماء الإسلام ومفكري الفكر الحر؛ لأن فكرة الإمام كانت متعلقة بفحص أحوال الصين وقضاياها، وثقافة الصين ومقوماتها بالواقع الحاضر والمستقبل المرتقب. وجرأة الإمام وشجاعته لم تجعله مجاملا للفكر الشيوعي أو جبانا لا يتكلم بنقده في وقت لا وجود فيه لأي فكر سوى فكر الزعيم الشيوعي ما تسي تنونغ، ولذلك اقترح أمام رجال الحكم الشيوعي قائلا: "إن الصين ينبغي أن تتقدم بنفسها برسم خطتها وبرامجها طبق طبيعة أرض الصين وثقافتها دون تقليد الاتحاد السوفياتي السابق أو تقليد طراز الغرب"، وفي الحقيقة فكرته في بناء الاشتراكية ذات الخصائص الصينية بالرغم من قبولها إلا أنها طبقت ونجحت بعد أن طرح نفس الفكرة الزعيم الصيني السابق دنغ شياو بينغ (Deng Xiaoping) باسم "نظريتة بناء الاشتراكية ذات الخصائص الصينية" عام 1982م في المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الصيني.[33]

---

[32] **المرجع السابق** ، ص345.

[33] محمد نجيب السعد- باحث أكاديمي عراقي، التجربة الاقتصادية الصينية..هل يمكن للعرب أستنساخها؟، الوطن نت، 2012/5/5م.
http://www.alwatan.com/graphics/2012/05may/10.5/dailyhtml/qadaia2.html

والدليل على أفق علمه الواسع وسعة صدره ووعيه لفهم الرأي الآخر قيامه بتعمق لدراسة الأفكار الماركسية واللينينية والستالينية والماوية وعن محتوياتها ومعانيها ومصادرها ومسارها، ثم إبراز إيجابياتها وبما يوافق المبادئ الإسلامية، وحث العلماء المسلمين على قراءة كتبهم وأقوالهم المتعلقة بالدين الإسلامي ليبرهن بها على حقيقة الدين الإسلامي وعظمته، وهذا لا يخالف قانون الدولة كما لا يخالف فلسفة ماو تسي دونغ المعروفة ب"الكفاح النظري"، متمشيا مع قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: 125] [34]

سعة أفقه العلمي والثقافي:

بالإضافة إلى تأليف وترجمة الكتب المهمة مما لها تأثير في تجديد الفكر الإسلامي قام الإمام يوسف بترجمة كثير من المقالات والقصائد العربية إلى الصينية. وعندما ننظر إلى هذه المقالات المترجمة نجد أن معظمها كانت قبل قيام الحكم الشيوعي في الصين (1949م). والمدهش حقا كون هذه الترجمات تشتمل قضايا تخص المسلمين دينيا واجتماعيا وسياسيا علميا وثقافيا، وترجمة مقالات تخص جنوب السودان والحبشة وأستراليا وكشمير والهند وباكستان وأفغانستان والعالم العربي تأكد بوضوح عدم تقيد روحه العلمية بالصين وحدها، وانطلاقه حتى يشمل أمة الإسلام قاطبة. والإمام يوسف ما كان يكتفي بمطالعة ما يحدث للمسلمين دينيا وثقافيا وعلميا واجتماعيا في أنحاء العالم؛ بل أراد نقل هذه المعلومات إلى مسلمي الصين وغير المسلمين، وذلك إيمانا منه أن يكون الشعب الصيني مسلمون وغير مسلمين على علم وصلة بمسلمي العالم، وهذا يأكد مدى اهتمامه بأمة الإسلام، وحبه في رفع ثقافة

[34] تشيانغ وي جين، روح تشنغ كه لي الخالدة، المسلم الصيني نت، 2012/5/27،
http://www.2muslim.com/forum.php?mod=viewthread&tid=352178

الصين، وكما تشير إلى رغبته بربط أمة الإسلام وثقافتها بدولة الصين وشعبها وثقافتها.

ومن أهم ما ترجمه من المقالات والقصائد كالآتي:

1. الإسلام في جنوب السودان (مقالة مترجمة 1948م)
2. لاهور- رمز انتصار الأمة الإسلامية (مقالة مترجمة 1948م)
3. صراخ مسلمي أثيوبيا التي تحت الصخر(مقالة مترجمة 1948م)
4. مسلمو أستراليا في قفز إلى أمام (مقالة مترجمة 1948م)
5. وجوه ثورة كشمير (مقالة مترجمة 1948م)
6. أناشيد لجند الله (قصيدة محمد شاذلي- 1948م)
7. ذكرى لمحمد علي جناح (هذه القصيدة نظمها الشهيد للتعزية بوفاة مؤسس باكستان محمد على جناح 1948/9/15م)
8. الغناء الملوث بالدماء (قصيدة مترجمة للثناء على شجاعة شعب مصر في سبيل الجهاد 1948م)
9. تحية للإمام محمد عبده (قصيدة مترجمة)
10. الإسلام والحرية (مقالة مترجمة 1948م)
11. الأوثان الجديدة (مقالة بقلم الشهيد يوسف 1948م)
12. أين طبقة العلماء؟ (مقالة مترجمة 1948م)
13. الهلال-راية المسلمين (مقالة مترجمة 1948م)
14. مسلك النجاح (مقالة مترجمة،1948م)
15. أمثال وحكم (مترجمة بالتصرف 1948م)
16. محمد إقبال (مقالة مترجمة 1948م)
17. دراسة تاريخ سياسة الغزوات الإسلامية (مقالة مترجمة 1948م)
18. دراسة قضايا الهند (مقالة مترجمة 1947م)

19. الإسلام دين عالمي (مقالة مترجمة 11948م)
20. الانتقام (مقالة مترجمة 1948م)
21. تعريف العلاقات الباكستانية والعربية (مقالة مترجمة 1948م)
22. الإسلام دين الجهاد العالمي (مقالة مترجمة 1948م)
23. يا فجر، أنتظرك! (مقالة بقلم الشهيد يوسف 1948م) [35]

والجدير بالذكر في ترجمة الإمام لهذه المقالات والقصائد من الصحف العربية، فقد قام الباحث بترجمة عنوان المقالات بنفسه من الصينية إلى العربية وذلك لعدم سهولة الحصول على المقالات الأصلية التي نشرت في الصحف العربية ، وعندما ندقق النظر في هذه المقالات وغيرها مما كتبه وترجمه ونشره الإمام يوسف تشنغ كه لي نستغرب من أفقه العلمي وملكته القوية باللغتين الصينية والعربية، ومتابعته الدقيقة والمستمرة لأحداث العالم وبالأخص لما يحدث للإسلام والمسلمين في شتى أنحاء العالم. وعندما نقارن جهوده العلمية مما كتبه وترجمه بعمره الذي لم يتجاوز 46 سنة ومنه ما قضى في الحبس الإجباري وفي السجون نصل إلى نتيجة حاسمة وهي أن الإمام يوسف ما كان له في الحياة هم في جمع المال أو الاستمتاع بالحياة المادية وجُلّ همّه ليلا ونهارا، صيفا وشتاء مرهون بالإسلام وأمة الإسلام، وإن كانت حياته المادية تشهد على زهده في الدنيا وهي في نفس الوقت تؤكد للعالم انطلاق روحه وتحرره من الدوائر الضيقة وترفرفه في آفاق العالم؛ أي عالم العلم والثقافة بالنظر الثاقب والقلب الفياض فكأن مهمته ليست إلا إيقاظ الأمة ورفع همهما بتبصرة عقول المسلمين، وتوسيع وعيهم وتقريبهم من الله ومن أمة الإسلام.

---

[35] ما بوه جونغ، قائمة إنجازات تشنغ كه لي العلمية، مجلة المسلم الصيني الخاص بذكرى 40 سنة لاستشهاد الإمام يوسف شنغ كه لي (Chen Ke Li)-رحمه الله، ص80.

الأيام الأخيرة قبل وفاة الإمام

قبض على الإمام يوسف شنغ كه لي في 26 فبراير 1970م بتهمة عدائه للثورة من خلال هجومه العنيف على الثورة الثقافية وعدائه للحزب الشيوعي وفكره وهي تنديد الإمام بالفكر الشيوعي أمام الطلاب المسلمين أيام تعليمه في معهد العلوم الإسلامية عام 1956-1957م، وأصبح هذا التنديد من أهم التهم ضد الشهيد زعما منهم تحديه وعدائه للثورة الثقافية، ، فحُكم عليه بالإعدام في 24 يونيو 1970م، وتم تنفيذ الحكم في 5 يوليو 1970م.

ويتضمن هذا التنديد الآتي: [36]

أولا: قوله لطلابه أثناء المحاضرة في الفصل: "عليكم أيها الشباب تقع مسؤولية إدخال ستمائة وخمسون مليون صينيا في الإسلام" (وهو عدد السكان الصينيين وقتئذ).

ثانيا: دعوته إلى دمج دم الإسلام في وعاء دم الثقافة الصينية العريقة.

ثالثا: سخريته من محاولة الحكام توحيد كل الصينيين على الفكر الشيوعي.

رابعا: رفضه للتعاون مع الحركة السياسية في معارضتها للأديب هو فنغ (Hu Feng 1902-1985م) [37] وأفكاره بحجة عدم وجود أي صلة بالإسلام.

خامسا: ادعاؤه في انضمام الفكر الماركسي في نهاية المطاف عند التطبيق مع الفكر الإسلامي.

---

[36] فنغ جين يوان، التطلع إلى الوراء والتأمل الباطني في حياة السيد تشنغ كه لي بكاملها، مجلة المسلم الصيني الخاص بذكرى 40 سنة لاستشهاد الإمام يوسف شنغ كه لي (Chen Ke Li)-رحمه الله، ص44-45.

[37] هو فنغ (Hu Feng1902-1985م) منّظر في الأدب والفن، ناقد في الأدب، مترجم، شاعر، وهو من ممثلي الثقافة اليسارية الصينية. وبسبب خلافاته مع السياسة التي طبقها الحزب الشيوعي الصيني في الأدب والفن تعرض بحركة التقويم من الحزب الشيوعي الحاكم، فحصلت منه الحركة الناقدة السياسية الواسع نطاقها في الصين ابتداء من عام 1955م.

وقد رأى الشهيد الأضرار التي أحدثتها الثورة الثقافية على الدولة والشعب أيام الثورة الثقافية فكتب رسالتين باسمه إلى وزير الخارجية ورئيس مجلس الدولة مطالبا رجال الحكم بالكفِّ عنها، وقد بين أن بعض الفكر الاشتراكي الصحيح منبعه من الإسلام، وأشار إلى أن الإسلام يمكن أن يكون منهجا ملائما لتطوير الصين، وتنميتها، وطلب من الحكومة توفير العمل له باعتباره مواطنا صينيا بدون شروط حيث صار عاطلا عن العمل بعد الإفراج عنه من الحبس في مركز الإصلاح الإجباري، كما طالب من الحكومة أن ترسله إلى إحدى الدول العربية لمواصلة دراسته العربية والإسلامية نظرا لتخصصه، مع وعده بالعودة والمساهمة في تطوير الصين وتقدمها.

ولم تشفع له كلماته ولا تعبيراته كما لم يشفع صمته وسكوته أمام رجال الثورة الثقافية في إنقاذ حياته وإطلاق حريته؛ بل كلامه وسكوته كلاهما كان يعتبر تحديا وعنادا وإنكارا لفلسفة الثورة الثقافية، فحكم عليه بالإعدام بحجة معارضته لتلك الثورة، ولم يحزن الشهيد بما حكم عليه. وفي اليوم الأول بعد الإعلان عن حكم الإعدام طلب الشهيد ممن كان يحرسه أوراقا وقلما لتسجيل خواطره الملتهبة حتى يكون ذلك مساهمته الأخيرة لأمة الإسلام في حماية دينهم ومستقبل تقدمهم؛ لم يلق القبول من قبل الحراس، وفي اليوم الثاني طلب من رجال السجن السماح برؤية ولده وبنته؛ فرفض الطلب أيضا، وفي النهاية تم إعدامه في 5 يوليو 1970م وهو مرفوع الرأس قارئا سورة الفاتحة بصوت مرتفع، ناطق بشهادة "لا إله إلا الله"، وكان آخر كلمة خرجت من فمه "الله أكبر"!!! وهكذا سقط نجم من نجوم المفكرين الإسلاميين بعد أن قدّم دمه وفكره وعقله لدين الله -عز وجل- وهو في السادسة والأربعين من عمره، وَقَدْ وَفىَ بِقَسَمِهِ "أُفَضِّلُ الْمَوْتَ وَاَقِفًا عَلىَ الْحَيَاَةِ رَاَكِعًا".[38]

[38] عبيد ما جي تانغ، **سيرة تشنغ كه لي**، ص32-36.

وبعد إعدامه ترك جثمانه في وادي النهر دون تسليمه لأهله، وأهالي القرية بالرغم من تعاطفهم مع الإمام، وحزنهم الشديد على قتله، خافوا من الاقتراب لدفنه من رجال الثورة الثقافية حتى مجيء الليل، وتقل حركات الناس، ومن ثم تشجع سبعة من أهالى القرية، وأخذوا الجثمان ودفنوه ليلا. وقد أصبح قبره المبارك مصدر إلهام لأمة الإسلام في الصين إلى الآن، ومن محاسن القول أن نجد هيئات إسلامية ومراكز بحوث علمية رسمية وأهلية تهتم بدراسة سيرة هذا الإمام وأفكاره. والجدير بالذكر إعلان حكومة الصين الحالية عام 1980م براءة الإمام من جميع التهم التي ألصقت به وقتل من أجلها،[39] ﴿**وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾. [الإسراء: 81]. وإن مات الشهيد يوسف شنغ كه لي فهو مازال حيا يقود الأمة المسلمة في الصين إلى الأمام، وتسير الأم المسلمة في الصين قدما في الطريق المخضب بدماء الشهيد أبدا أبدا، ونسأل الله أن يعطّر مثواه ويحشره مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

أهم النتائج التي توصل اليها الباحث

1. على الرغم من وفاة الإمام، فقد أثبت البحث أنه مازال حيا في قلوب المسلمين في الصين خاصة، وفي العالم الإسلامي عامة.
2. إن فهم عقيدة الإسلام الصحيحة من روح هذا الدين، فلا بد من العناية بها.
3. إن الله أنزل القرآن ليخاطب الناس، والإسلام دين لإسعاد الناس، فعلى المسلمين أن يفهموا القرآن، ويفقهوا دينهم، وأن يستجيبوا إلى نداء القرآن.
4. إن الاقتداء بهذا الشهيد في تواضعه، وتحمل مصائب الحياة؛ بل اعتناء بأفكاره التجديدية والإصلاحية واجب حتمي على كل من يريد ترسيخ الإيمان في قلوب المسلمين، ويقودهم نحو التقدم والسعادة في الدنيا والآخرة.

---

[39] المرجع السابق، ص47.

5. أثبت البحث أن هناك تشابه بين تفكير الإمام العلمي والإصلاحي بحركة الإصلاح والتجديد التي قام بهما العالمان الشيخ جمال الدين الأفغان والإمام محمد عبده.

6. وعلى الأمة الإسلامية وخاصة العلماء المسلمين في الصين أن ينشروا أفكار الشهيد وآرائه القيمة في جميع أنحاء العالم باللغات المختلفة.